أغلفة وصناديق أناجيل محفوظة بمتحف الفن القبطي بالقاهرة

إيمان خلف عبد المجيد عمر (*)

الملخص :

يتناول هذا البحث مجموعة من أغلفة وصناديق الأناجيل المحفوظة بمتحف الفن القبطى بالقاهرة[١] والتى كان مصدرها بعض كنائس منطقة مصر القديمة، ومن خلال دراستها تم وصفها وتحليل ما عليها من زخارف وكتابات وبعض الرموز عليها بالإضافة إلى بعض التأثيرات فى الزخارف والموضوعات.

مقدمة :

تعرف أغلفة الأناجيل باسم البشارة؛ والمقصود بها الإنجيل أو الغلاف الخارجي الذي يحفظ به الكتاب المقدس، وعرفت كذلك نسبته لمعنى كلمة الإنجيل بالقبطية، وهى الخبر الطيب أو البشارة المفرحة.[٢]

ويتكون هذا الكتاب من مخطوط موضوع في علبة من الخشب ومغطى من جميع الجهات بغلاف معدني مغلق تماماً يصنع عادة من الفضة، وأحياناً من النحاس ومزين بحروف قبطية بارزة وأزهار وصلبان، والمقصود من الغلاف المعدني هو حفظ النص المقدس في وقت كانت فيه نسخ الأناجيل نادرة. [٣]

ولن يفوتنا أن نذكر أن الفن الإسلامي حين قويت دعائمه وارتقت فيه صناعة كتابة المخطوطات، وتذهيب الكتب في القرن الرابع عشر أثر بدوره على نسخ الإنجيل وتذهيبه، كما يتجلى في الإنجيل المحفوظ بالمتحف القبطي، والذي نرى في أوله صفحتين مزينتين برسوم هندسية جميلة ونقوش مذهبة، وقد كتب

(*) باحثة ماجستير – قسم الآثار الإسلامية – كلية الآثار – جامعة سوهاج.

هذا البحث من رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة، وهى بعنوان: تحف الأقباط المعدنية المنزلية خلال العصر الإسلامى " دراسة أثارية فنية لمجموعة المتحف القبطى ". وتحت إشـــراف: أ.د/ أشرف سيد محمد حسن– كلية الآثار – جامعة سوهاج & د/ وفاء السيد شرف المصري- كلية الآثار – جامعة سوهاج.

عليها بالخط الكوفي : " الإنجيل الطاهر والمصباح الزاهر ينبوع الحياة وسفينة النجاح ".[٤]

- **أغلفة الأناجيل:**

وهذه الأغلفة عموماً عبارة عن علبة من الخشب تكسوها طبقة من الفضة، وفى حالة واحدة (وهى رقم ١٣٣٩) تكسوها طبقة من الحديد وجميعها منقوشة على شكل صلبان، وزهور متناسقة ومكتوب عليها غالباً بالقبطية أول آيتين من البشارة حسب القديس يوحنا (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة عند الله _ يوحنا ١:١ وحسب القديس مرقس (بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله – (مرقس ١:١).[٥]

وغالباً ما نجد داخل هذه الصناديق الممكن إغلاقها كتاب الأناجيل أو العهد الجديد الذي لم يكن يغادر صندوقه أبدا، فهو بمجرد وجوده بالصندوق الموضوع على المذبح، أثناء القداس، يشهد على قيمة كلام الله. وكان الشماس يحمله وهو يطوف حول المذبح أو يحمله الراهب أثناء قراءة الإنجيل أو عند قيامه بطقوس أخرى. وكان يحمل في الطواف حيث يحظى بتقديس كبير.[٦]

كذلك يسمى صندوق الإنجيل بالإنجيلية وهى غلاف معدني مزين بنقوش هندسية وبعض الجواهر، يحفظ بداخله الإنجيل أثناء التلاوة في القداس، في بعض الأحيان يزين بأيقونة الصليب أو القيامة، في الخلفية توضع صورة للعذراء مريم، وربما نجد صور للإنجيلين الأربعة على الجانبين.[٧]

الدراسة الوصفية :

(١)نوع التحفة : غلاف إنجيل. لوحة رقم (١، ١ أ)

رقم السجل : ١٥٦٦.

تأريخ الصنع : يرجع للقرن الثامن عشر.

الخامة المستخدمة : من الخشب المصفح بالفضة.

الأبعاد : ٤٩ × ٣٨.٤×١٠ سم.

الهيئة العامة : نجد الصليب متساوى الأضلاع يتوسط مربع مثبت بمسامير وهو باللون الأصفر (مذهب)، والزخارف النباتية تحيط به وتتكون من أربعة زهريات تتفرع من مركز الصليب ثم يحيط بهذا الجزء المربع إطاران على ضلعي المربع زخارفها نباتية من عناقيد العنب وورق الأكانتس، والإطار الخارجى به صليب بكل ركن وحوله زخارف نباتية عبارة عن زهور وأوراق نباتية. وفى أعلى الصندوق كتابة قبطية ترجمتها "بدء إنجيل" كما فى أسفله كتابة باللغة القبطية ترجمتها " يسوع المسيح بن الله ". وتمت طريقة تنفيذ هذا الغلاف بالضغط وتقنية الريبوسيه.

(٢)نوع التحفة : صندوق إنجيل بالمتحف القبطي.لوحةرقم (٢، ٢أ).

رقم السجل : ١٥٢٦.

تأريخ الصنع : القرن الثامن عشر الميلادي ١٤٤٠ للشهداء، ١٧٢٤ ميلادية.

المصدر : كنيسة السيدة بربارة بمصر القديمة.

الخامة المستخدمة : خشب، فضة مذهبة ، فصوص زجاج.

الأبعاد : ٣٦.٥×٣١.٥×٨.٥ سم.

الهيئة العامة:الصندوق الخشبي المعروض هنا مغلف بصفائح معدنية مزينة تزييناً فاخراً، الفضة مضغوطة ومحفورة ومذهبة في بعض أجزائها، يختلف وجها الصندوق قليلاً في تفاصيل الزخرفة.غلاف الإنجيل مكتوب عليه البشارة حسب ما كتبه يوحنا، يتوسط البشارة صليب محاط بمجموعة من الزخارف النباتية وفى الأركان زهرات سداسية الأوراق " زهرة عباد الشمس" أغلب الظن تشير إلى مونجرام السيد المسيح يحيط بالصليب اطار مزين بزخارف نباتية منها عناقيد العنب وورق الأكانتس[٨].

والصليب مقصوصا من ورقة معدنية، مثبتة بمسامير صغيرة ومرصعة بفصوص الكبوشن المصنوع من معجون الزجاج. في أعلى الصندوق كما في أسفله نشاهد كتابة بالقبطية كثيرة الزخرفة : " في البدء كان الكلمة وكان الكلمة على مقربة من الله ". هكذا يبدأ إنجيل القديس يوحنا. أما الوجه الآخر للصندوق فمزدان بكتابة هو الآخر : " بداية إنجيل السيد المسيح، ابن الرب ". كما أن الرجل التقى، صاحب هذا الصندوق، قد طلب من الناسخ نقشين آخرين باللغة العربية وأهدى الصندوق الرائع لكنيسة القديسة بربارة، لتزين بها مصلى رئيس الملائكة ميخائيل.[٢]وتمت طريقة تنفيذ هذا الغلاف بالضغط وتقنية الريبوسيه.

(٣)نوع التحفة : صندوق إنجيل.لوحة رقم (٣، ٣ أ، ٣ ب).
رقم السجل : ١٥٦٢.
تأريخ الصنع : ١٥٩٤ للشهداء.
المصدر : كنيسة المعلقة بمصر القديمة.
الخامة المستخدمة : مصنوع من النحاس المغلف من الداخل بالفضة.
الأبعاد : طول ٢٥.٥ سم × عرض ١٧.٥ سم.
الهيئة العامة : نقش على أحد أوجه الغلاف بالغائر أحد القديسين كما نقش على يمينه طائر (يعتقد أنه النسر) والقديس يمسك بيده اليمنى قلم واليسري كتاب ويلبس عباءة بها نقش عبارة عن رسوم نباتية وأزهار وفروع وعلى رأسه هالة بالنور وتاج والنسر يفرد جناحه " والنسر في الفنون القبطية يرمز ليوحنا البشير، وأيضاً لوحي البشائر " ومن هذا نجد أن المنجلية التي يوضع عليها الكتاب المقدس لقراءة البشائر تكون بشكل نسر ذي أجنحة " [٩]
وكتب باللغة العربية بالغائر فوق القديس (المبشر مارى مرقص الإنجيلي) ومن أسفله كتب باللغة العربية بالغائر (أغفر يا رب خطايا عبدك نخلة يوسف ووالديه وجميع الشعب الأرثوذكسي آمين سنة ١٥٩٤ للشهداء) وزخرف بالنقش من الأربعة أركان عبارة عن أشعة الشمس وإطار يحيط بالوجه من الأربعة جوانب يمثل فرع نبات.
وأما الوجه الخلفي من الغلاف نقش عليه بالغائر ورسم لصليب كبير عليه زخارف نباتية وهندسية بعضها يمثل صلبان صغيرة وفى أركان الصليب الأربعة

كتبت حروف القبطية. وكتب باللغة العربية في الأركان الأربعة العبارة الآتية " إنجيل شريف برسم كنيسة السيدة الطاهرة العذري البتول بالمعلقة بمصر القديمة عمرها الله " وحول هذه الوجهة إطار بداخله فرع نبات بالغائر والغلاف له قفل. وتمت طريقة تنفيذ هذا الغلاف بالضغط وتقنية الريبوسيه

(٤)نوع التحفة : صندوق انجيل. لوحةرقم (٤).
رقم السجل : ١٥٦٥.
تأريخ الصنع :١٤٢٤ ميلادية
المصدر : من كنيسة السيدة العذراء بقصرية الريحان مصر القديمة.
الخامة المستخدمة : مصنوع من الخشب مغطى بطبقة من الفضة ومزخرف بفصوص من الأحجار الكريمة.
الأبعاد : ١٠ سم × ٣٨.٤ سم × ٤٩ سم.
الهيئة العامة : صندوق إنجيل مغطى بصفائح فضية نقش عليها زخارف نباتية، وفى الوسط صليب مزين بفصوص من زجاج وتتفرع من مركز الصليب أربع زهريات ذات رسوم نباتية ويحيط بهذا المركز المربع إطاران من زخارف نباتية ومن أعلى وأسفل كتابة قبطية كتبت على نمط الخط الكوفي العربي الأوسط.

وكتب على أحد الوجهين بالقبطية ما ترجمته " في البدء كانت الكلمة والكلمة كان عند الله " " يو ١:١"وعلى الوجه الآخر كتب بالقبطية أيضاً ما ترجمته " بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله " " مر ١:١ ".[١٠]

وكتب على الجانبين الطوليين بالعربية " وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً على بيعة الست السيدة بقصرية الريحان عوض يارب من له تعب في ملكوت السموات سنة ألف ومئة وأربعين للشهداء الأطهار يارب أرحم " ١٤٠٠ ش _ ١٤٢٤ م. القرن الخامس عشر الميلادي.[١١] وقد صنع هذا الصندوق الفاخر ليصون كتاباً عظيم القيمة وليكون شاهدا على تقوى من وهبه.[١٢]

(٥)نوع التحفة : صندوق إنجيل.لوحةرقم (٥).
رقم السجل : ٤٨٦٧.
تأريخ الصنع : ١٠٦١ للشهداء.
المصدر : مجهول.
الخامة المستخدمة : خشب مغطى بصفائح الفضة.
الأبعاد : طول ٣٩.٥ سم × عرض ٢٩ سم × عمق ١٠.٥ سم .
الهيئة العامة : غلاف مغلق لإنجيل مستطيل الشكل على أحد أوجهه في وسطه نقش بالبارز يمثل السيدة العذراء تحمل السيد المسيح الطفل ونقش يمثل أشعة الشمس من الجانبان العلويان ونقش يمثل فرعان من الأزهار والنباتات بجانب السيدة العذراء وإطار من أعلى به كتابة باللغة العربية بالبارز " إنجيل يسوع المسيح ابن الله الحي " ومن أسفل إطار كتابة هي " وقف على بيعة الله الملاك المكرم سنة ١٠٦١ " وحول هذا المستطيل إطار به زخارف نباتية بالبارز داخل معينات ويحدد كل أطارات الغلاف نقاط بارزة تم دفعها من الخلف.
وعلى الوجه الآخر يوجد نقش بالبارز في الوسط يمثل رئيس الملائكة ميخائيل يمسك بيده اليمنى ميزان واليسرى سيف وكتب أعلى هذا النقش باللغة العربية بالبارز "بدء إنجيل ربنا يسوع المسيح بن الله الحى " ومن أسفل إطار كتابة هي " وقف على بيعة الله الملاك المكرم سنة ١٠٦١ " وحول هذا المستطيل إطار به زخارف نباتية بالبارز مختلفة الأشكال على الجوانب الأربعة الأخرى للغلاف.
ونجد داخل الإطار وجوه مستديرة عليها هالات التقديس اللطيفة : فكل منهما يرتدى تيجان مزينة بالصلبان. وتمت طريقة تنفيذ هذا الغلاف بالضغط وتقنية الريبوسيه نجد صناديق الإنجيل المطلية بالذهب والمزينة بالأحجار شبه الكريمة في كثير من الأحوال، وهى لا تحمى الكتاب فقط ولكن تعبر أيضاً عن التبجيل للكتب المقدسة المعروضة. وتعتبر هذه النسخة واحدة من صناديق الإنجيل المتعددة الموجودة ضمن مجموعة في المتحف القبطي.[١٣]

الدراسة التحليلية :

من خلال دراسة أغلفة الأناجيل (محل الدراسة) ظهرت الموضوعات التالية:

١- منظر السيدة العذراء تحمل المسيح :

فى الصور الأقدم تظهر السيدة العذراء حاملة السيد المسيح على إحدى ركبتيها داخل شكل دائرى يشبه الميدالية. ودائماً بهالة حول رأسها، وكذلك حول الطفل يسوع، وأحياناً هالة وتاج معاً، غير أن التاج قد يرسم وقد لا يرسم، أما الهالة فهى ترسم دائما. وفى التصوير القبطى تكون ملابس العذراء دائماً كاملة.(١٤)

أما عن بداية ظهور هذا الموضوع يرى بعض الباحثين أن الرسول لوقا الإنجيلى المصور والطبيب، هو الذى وهب البشرية أول صورة عرفتها لمريم البتول، وهى فى وضعها المعروف، أى وهى تحمل المسيح الطفل، وبهذا يكون أول من رسم هذا النموذج الذى أخذ عنه أيقونات السيدة العذراء حتى اليوم.(١٥)

لعل أقدم نماذج تصور السيدة العذراء الأم هى تلك الكائنة بمعبد الكرنك ومعبد الأقصر حيث قام الأقباط بتحويل مثل هذه الصروح الفرعونية إلى كنائس أقاموا فيها شعائرهم الدينية،وقاموا برسم أيقونة السيدة العذراء على الجدران، وعلى الرغم من تعرض هذه الرسوم الجدرانية للعوامل الجوية لفترة طويلة من الزمن إلا أنها ما زالت يسهل التعرف عليها وعلى ألوانها. وهذه الأيقونات تصور العذراء حاملة الطفل.(١٦)

ويغلب وجود هذا المنظر فى الكنيسة المصرية أسفل رسم المسيح على العرش، وهو منظر دينى، ويرى بعض العلماء صدى لقصة إيزيس وحورس فى العصر الفرعونى، أو ما يظهر على توابيت المومياء الفرعونية القديمة . ولهذا المنظر أمثلة عديدة، كما فى أديرة باويط والدير الأبيض والقديس أنطونيوس ودير القديس سمعان بأسوان وغير ذلك من الكنائس والأديرة.(١٧)

ومن الأمثلة الذى ورد عليها هذا الموضوع بالمتحف القبطى بمصر، صندوق إنجيل سجل (لوحة رقم ٥). حيث يظهر عليه رسم السيدة العذراء وهى تحمل السيد المسيح.

كما ظهر منظر للسيدة العذراء والمسيح وملائكة العرش على أيقونة بالمتحف القبطى رقم سجل (٨٧٧٨) ، وهى واحدة من أقدم الأيقونات رسمت بعد العصور الوسطى بمصر، وتمثل العذراء مريم حاملة الطفل فى يدها اليسرى وتتوسط رئيسى الملائكة ميخائيل (على اليسار) وجبرائيل (إلى اليمين).[١٨]

ونجد منظر آخر على أيقونة بكنيسة السيدة العذراء بحارة الروم بالقاهرة، ونجد السيدة العذراء تجلس إلى يسار اللوحة فى وضعية ثلاثية الأرباع وتحمل الطفل على ركبتيها فى وضع المواجهة. وقد ظهر رأس السيدة العذراء يميل نحو كتفها اليمين، وجاءت ملامحها هادئة توحى بالطهر والعفاف، ونرى فيها الملامح القبطية حيث العيون اللوزية والأنف المستقيم والفن الدقيق، غير أن يدى السيدة وأصابعها جاءت غير متناسبة وطويلة بشكل مفرط وهى تضع إحداهما فوق الرجل اليمنى للطفل والأخرى تسنده من الخلف.

أما الطفل فإنه يجلس على ركبتى والدته ويحمل فى يده اليسرى لفافة ويشير بيده اليمنى إشارة البركة تجاه والدته لعله يباركها، غير أن منظر الطفل بشكل عام جاء أكبر حجماً من طفل تضعه أمه على رجليها لعل الفنان قصد هذا ليظهر أهمية السيد المسيح ومكانته حتى فى مرحلة الطفولة، وقد أحاط بكل من رأس السيدة والطفل هالة مستديرة.

وتعد هذه التصويرة من أكثر التصاوير تنفيذاً فى الكنيسة القبطية، ولعل ذلك يرجع لكون منظر الأمومة والطفولة من المناظر المحببة لدى المصريين بما توحيه من براءة الطفل وطهر وعفاف السيدة العذراء. [١٩]

وبمقارنة هذا المنظر ببعض المناظر المماثلة مع إسقاط ملامح الوجوه من المقارنة لتلفها، فإن الاختلافات بين هذه الرسوم تبدو واضحة، تبعاً لأسلوب الفنان الخاص وتخيله للمنظر ككل، وتشمل هذه الاختلافات ملامح الوجوه والمقعد الذى تجلس عليه العذراء وطيات الملابس وأشكال الملائكة والوسادة والكتابات القبطية، وإن كانت جميعها تشترك تقريباً فى رسم العذراء مواجهة والملائكة مجانبة إذا وجدت بالرسم. [٢٠] والأمثلة السابقة تتفق فى احتوائها على منظر السيدة العذراء الأم حيث صور الفنان السيدة العذراء جالسة تحمل السيد المسيح الطفل على ساقها اليمنى أو اليسرى، كما صورت بالوجه المستدير والعيون المتسعة، والأنف العريض، وترتدى ملابس واسعة ويحيط برأسها هالة

مستديرة، كذلك صور السيد المسيح بوجه مستدير وعيون متسعة، وأنف عريض، ويرتدى ملابس بسيطة عبارة عن قميص أسفله سروال.(٢١)

انتقل من مصر القبطية موضوع العذراء الأم إلى كافة بلاد البحر الأبيض المتوسط وظل متوارثاً عندهم عبر كل العصور، وكان ذلك حال أوربا البربرية التى قام فنانوها بتنفيذ هذا الموضوع بتفاصيله القبطية، ولعل خير مثال لذلك هو ذلك التمثال الخشبى المذهب للسيدة العذراء والذى قامت على عمله أبيس ما تيلدا " Abbess Matilda " حفيدة أتو الأول " Otto I " وهذا التمثال من كولونيا " Cologne" ويؤرخ بأواخر القرن العاشر الميلادى.(٢٢)

٣- السيد المسيح:

كان الفنان القبطى يرسمه إما ملتحياً وإما غير ملتحى، وقد كان شكل السيد المسيح الملتح نادراً فى القرون الثلاثة الأولى، ولكن اعتباراً من القرن الرابع الميلادى فصاعداً صار الشكلان شائعين. ومن الواضح أن الشكل الملتح شرقى الأصل. وكانت اللحية فى الصور القبطية للسيد المسيح إما قصيرة وإما طويلة. أما عن شعر الرأس فقد عرف الرسم القبطى شكلين، إما مسترسلاً على أذنيه وإما يتدلى على كتفيه، وتظهر الدراسة الفنية إن اختيار أى من الشكلين كان مسألة تفضيل شخصية من الفنان. ويظهر السيد المسيح فى الصور القبطية رافعاً يده اليمنى فى وضع البركة. وهذا الوضع له شكلان فى الفن القبطى : أولهما يلمس فيه الأصبع الإبهام البنصر بينما الأصابع الأخرى مستقيمة. وثانيهما يظهر فيه الأصبعان السبابة والبنصر فى مواجهة الكف مع الثلاثة الأخرى الممتدين. وقد وجد هذان الشكلان فى رسومات باويط (ق ٦ / ق ٧ م). وإن كان الشكل الأول هو الأكثر شيوعاً فى فرسكات سقارة حسبما يرى والترز.(٢٣)

ومن بين التحف النادرة التى ما زال الدير يكتنزها مجموعة من القناديل المعلقة بكنيستى الرسل والأنبا أنطونيوس الأثرية يبرز من بينها مصباح قديم كبير القيمة يرجع تاريخ صنعه إلى العصور البعيدة وقد نقشت على هيكله البرونزى صور متعددة تمثل السيد المسيح فى بعض مراحل حياته كإله متأنس.(٢٤)

ويظهر السيد المسيح فى الكثير من الموضوعات وحول رأسه هالة ويذكر والترز أن الهالة قد ظهرت فى الفن القبطى إبتداء من القرن السادس الميلادى بصفة عامة، ثم استخدمت بعد ذلك للقديسين والملائكة والعائلة المقدسة.[٢٥]

ولكن الهالة (هالة السيد المسيح) فى الواقع قد ظهرت فى رسومات سراديب كاليستوس بروما والتى هى بكل تأكيد أقدم من هذا التأريخ المذكور. وظهر نقش للسيد المسيح على غلاف انجيل رقم سجل (١٥٦٢) لوحة رقم (٣).

أنواع الزخارف التى ظهرت على أغلفة الأناجيل:

الزخارف النباتية:

،(لوحة رقم ١) وهو عبارة عن صندوق إنجيل ملىء بالزخارف النباتية حيث وجد به أربع زهريات تخرج منها الزهور ويزين الإطار عناقيد العنب وورق الأكانتس.

(لوحة رقم ٢) تظهر على صندوق الإنجيل بعض الزخارف النباتية يتوسط الصندوق صليب وفى الأركان زهرات سداسية الأوراق " زهرة عباد الشمس"، أما إطار الإنجيل مزين بزخارف نباتية منها عناقيد عنب وورق أكانتس، (لوحة رقم ٣)غلاف إنجيل توجد الزخارف النباتية به على الإطار وهو عبارة عن فرع نبات،(لوحة رقم ٤) صندوق إنجيل مغطى بصفائح فضية نقش عليها زخارف نباتية، وفى الوسط صليب تتفرع من مركز الصليب أربع زهريات ذات رسوم نباتية ويحيط بهذا المركز المربع إطاران من زخارف نباتية، (لوحة رقم٥)غلاف لإنجيل عليه نقش يمثل فرعان من الأزهار والنباتات وحول هذا المستطيل إطار به زخارف نباتية بالبارز داخل معينات ويحدد كل إطارات الغلاف نقاط بارزة.

الزخارف الآدمية:

وأكثر الخصائص المميزة للفن القبطى هى تمثيل الأشخاص فى مواجهة الناظر، وتبدو الأعين مستديرة وقد بالغ الفنان فى اتساعها، والحواجب كثيفة، وتتراوح قسمات الوجه بين الصرامة والمحايدة، وأعضاء الجسم غير متناسبة مع بعضها البعض، أما تفاصيل ثنيات وطيات الملابس فأبرزها الفنان فى خطوط

حادة، فظهر الشكل متأثراً بالفن الهلينى فى مواجهته للناظر إلا أنه يفتقر إلى جمال نسب ورشاقة هذا الفن.[٢٦]

(لوحة رقم ٣) وصندوق إنجيل ظهر بوسطه نقش لأحد القديسين جالس يمسك بيده اليمنى قلم واليسرى كتاب،(لوحة رقم ٥) صندوق إنجيل تظهر عليه السيدة العذراء تحمل السيد المسيح طفلاً.

الزخارف الهندسية :

ومن العلامات التى أكثر من استعمالها الفنان القبطى هالة التقديس التى أخذها عن الفن الساسانى المعاصر والمصرى القديم، فقد رسمها ليس فقط حول رؤوس القديسين والأبطال بل كذلك حول رؤوس المحاربين البسطاء والنساء وكذلك حول رؤوس الحيوانات المقدسة.[٢٧]

عرفت زخرفة المعينات من قبل فى الفنون القبطية ثم انتقلت منها إلى الفنون الإسلامية واستخدمت ابتداء من العصر الأموى على المنتجات الفنية المختلفة.[٢٨] كما انتشرت الزخرفة الإشعاعية أو الشعاعية. على صندوق الإنجيل (٥).

الزخارف الكتابية :

استخدم الفنان الكتابات لتجميل التحف المعدنية وتسجيل بعض الأدعية لصاحب التحفة، واستخدم العديد من الكتابات والتى نفذها باللغة العربية والقبطية وأحياناً اليونانية.

تعد الكتابات العربية من أبرز مميزات الفن الإسلامى، فقد برع الفنان فى هذا المضمار إلى أبعد الحدود وساعده على ذلك تعدد أنماط الكتابات العربية وليونة حروفها. ولقد استعانت الكنيسة بالكتابات العربية فى نظم أدعية الكنيسة أو تسجيل تاريخ معين ولقد كان هذا طبيعياً طالما أن المسيحيين يتكلمون بهذه اللغة، إلا أنهم كانوا حريصين على إشراك الكتابات القبطية مع العربية أحياناً.[٢٩]

جاءت بعض الكتابات القبطية على بعض التحف المعدنية ومنها صناديق الأناجيل لوحة رقم (١، ٢، ٤).

بعض الرموز التى ظهرت على أغلفة الأناجيل :

العذراء :

تمثل الكنيسة التى تحمل الخلاص الذى تنتظره البشرية كلها وتتأمل القيامة والصلب، وهى تتأمل كل هذه الأمور فى قلبها. لذا نجد أن نظرها لا يلتفت إلى الطفل يسوع بل تنظر إلى بعيد، إلى مستقبل الأيام والعذابات التى ستحدث إلى ابنها الذى سيقدم نفسه فدية عنا (عنهم) لذلك

نجد وجهها حزيناً وترتسم عليه صورة آلام إبنها، وما يحزنها أكثر أن البشر غافلون عن هذا الخلاص وغارقون فى ملذاتهم وشهواتهم " أما أحشائى فتلتهب عند نظرى إلى صليبك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا أبنى وإلهى " (من صلوات الأجبية).[٣٠]

وصلتنا أكثر من قطعة عليها صورة العذراء منها صندوق انجيل (لوحة رقم ٥)

الفضة :

الفضة رمز الطهارة لأنها بيضاء وثمينة ونقاوة الفضة يرمز بها أحياناً إلى فصاحة البشر وقد أشير إلى هذا الرمز فى المزامير ١١ : ٦ (وكلام الرب كلام نقى وكفضة مصفاة فى بوطة فى الأرض ممحوصة أربع مرات).[٣١] وخير مثال على الفضة ما وصلنا من صناديق الأناجيل لوحات رقم (١ : ٥).

الهالة :

هالة السيد المسيح تختلف عن باقى الهالات فهى تبدأ من الكتف من المنكبين الذى يحمل عليه الخروف الضال والذى يحمل عليه خشبة الصليب ليتم خلاصنا (خلاصهم).

فى بعض الأيقونات ترسم هالة السيد المسيح وعلى محيطها من الخارج ثقوب صغيرة، تدل على الآلام والجراحات التى كانت وقت الصلب، ويجب أن يرسم داخل هالة السيد المسيح صليب ويكون رأس السيد المسيح فى مركز الصليب وحول الرأس يكتب الحرفين الألفا والأوميجا أى البداية والنهاية.[٣٢]

وقد رأينا من قبل كيف اعتبر البعض الهالة عنصراً ساسانياً، بينما رآها آخرون عنصراً رومانياً حيث كان الأباطرة يضعون فوق رؤوسهم حتى المسيحيون إكليلاً من الذهب على شكل أشعة. أيا كان الأمر فقد استعارها الفنان

القبطى كعنصر ليشير به إلى أن السيد المسيح هو ملكالملوك، وأيضاً ليشير بها إلى الطبيعة النورانية للقديسين.[٣٣]

وصلنا أغلفة أناجيل عليها نقوش للسيدة العذراء والسيد المسيح وحول رؤوسهم هالات ومنها (لوحة رقم ٥)

التأثيرات التى ظهرت على أغلفة الآناجيل :

التأثير المصرى القديم :

إن الفن الفرعونى فى مصر هو الفن الذى سبق المسيحية فى تقديم نموذج للأم وطفلها، إذ كانت الأم إيزيس وابنها الطفل حورس يرمزان إلى الخير وانتصاره على الشر. على الرغم من أن المسيحيين لا يقبلون الصلة بين هذين الموضوعين، أى وبمعنى أوضح يكرهون أن تكون هناك صلة بين الآلهة المصرية القديمة وآلهتهم، لكنا هنا نرصد صلة فنية وليس أموراً لاهوتية أو عقائدية، وعلى هذا فإن الفن القبطى ورث هذا الموضوع الفنى – إيزيس وطفلها حورس – نقلاً عن الفراعنة، ومن خلفهم نقلاً عنهم من اليونان والرومان والبطالمة والبيزنطيين. وصاغه فى صياغة دينية عقائدية جديدة، جعلت له استقلاليته وشخصيته المسيحية الخالصة التى باعدت عقائدياً بينه وبين الموضوع المصرى القديم لكنها لم تباعد بينها فنياً.[٣٤]

وتعرض قطع الدراسة مدى التشابه بين التأثير الفرعونى والتأثير القبطى فى هذا الموضوع ويتضح ذلك فى (لوحة رقم ٥) وهى تصور العذراء الأم حاملة السيد المسيح الطفل، ويتضح من هذا التشابه أيضاً الجلسة – أى وضع الأم وهى حاملة الطفل على إحدى رجليها.

كما أنه كانت هناك علاقة قوية بين اللغتين، فاللغة القبطية لم تكن سوى اللغة المصرية القديمة من ناحية اللفظ والمعنى – مع بعض التطوير فى القواعد – وأنها اختلفت عنها شكلا حيث أنها كتبت بالحروف اليونانية.[٣٥]

ويلاحظ أنه كلما اتجهنا إلى الجنوب نجد أثر الروح المصرية الخالصة فى الفن القبطى.[٣٦]وظهرت اللغة القبطية على بعض التحف المعدنية لوحات رقم (١أ، ٢ أ، ٤).

التأثير الساسانى :

ويتضح من خلال الأمثلة الساسانية تأثير الفن الساسانى على الفنون القبطية، فنلاحظ هذا التأثير فى غلاف إنجيل (لوحة رقم ٥) وتظهر السيدة العذراء وكأنها ملكة وهى متوجة بالتاج ذى الشرافات وعلى رجليها السيد المسيح وهو متوج أيضاً بالتاج الذى يعلوه الصليب وتظهر الفخامة فى أرديتهما، كما تظهر أيضاً الهالات حول وجه السيدة العذراء والسيد المسيح.

هالة التقديس :

ومن الظواهر الشائعة فى الفن القبطى والتى ترجع أساساً للفن الساسانى المعاصر والمصري القديم " استعمال هالة التقديس ورسمها ليس فقط حول رؤوس القديسين والأبطال بل كذلك حول رؤوس المحاربين البسطاء والنساء النائحات والأموات كما وضعت هذه الهالات حول الحيوانات المقدسة.[٣٧]

ووجدت أمثلة كثيرة فى الفن القبطى محلاة بالهالة من أمثلة ذلك صندوق إنجيل لوحة رقم (٥)

و علاوة على ما سبق فقد تمثلت المؤثرات الساسانية أيضاً في التاج الثلاثي الفصوص و الذي نراه يعلو رأس السيدة مريم العذراء، و من المعروف أن هذا التاج كان يتوج رأس الملك شاهبور الثاني (٣١٠ : ٣٧٩م) و كذلك في تمثال نصفي من الجص بمتحف شيكاغو للتاريخ الطبيعي، و يغلب على الظن أن هذا الأسلوب قد انتقل من الشرق إلى مصر على يد أسرة أحمد بن طولون، ثم استمر ظهوره في العصر الفاطمي، لاسيما مثال ذلك طبق من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني يرجع إلى حوالي القرن (٥هـ/١١م).[٣٨]

وتعتبر ظاهرة الفزع من الفراغ (Horrorvaccui) الشائعة فى الفن القبطى من الظواهر الهامة التى تبدو فيها التأثير الساسانى – الأخمينى واضحاً. وذلك لأن الفراغ يمثل فى الفنون الشرقية مكاناً تحل فيه الأرواح الشريرة، ومن ثم فيجب أن يملأ الزخارف ومن أمثلة ذلك رسوم مقابر البجوات، إذ نجد على جانب الرسوم التى تمثل موضوعات قديمة، صوراً تمثل رؤوساً وزهريات هيللينستية، وموضوعات وشارات بحرية دون أن يكون لها أى قصد أو معنى اللهم إلا ملؤ الفراغ.[٣٩]

التأثيرات الإسلامية :

وقد ظهرت التأثيرات الإسلامية على التحف المعدنية فى استعمال اللغة العربية بجوار اللغة القبطية أو وحدها فى كتابة أسماء القديسين الموقوفة عليهم أسم التحفة وبعض الدعوات لهم، بالإضافة إلى تدوين أسم الجهة الموقوفة عليها أو الجهة المهداة إليها ومثال ذلك فى لوحات رقم (٣، ٥). علاوة على ذلك وجود التاريخ الهجرى على بعض التحف المعدنية.

ومما أخذه الفن الإسلامى عن الفنون المسيحية عامة، الهالة أو إكليل النور، تحيط فى الرسوم والنقوش صور الرسل والقديسين على أن الفن الإسلامي أحاط بها رؤوس الشخصيات الكبيرة فى الصور، كصورة الأمير مثلاً، فى منظر استقبال أو طرب. فهى لا تفيد فى الفن الإسلامى أى تقديس دينى. [٤٠]

النتائج:

من خلال دراسة أغلفة الأناجيل الخمسة تبين الآتى :

- سيادة الزخرفة النباتية على أغلفة الأناجيل محل الدراسة.
- ظهور الزخارف الآدمية والهندسية والكتابات العربية والقبطية.
- ظهور بعض الرموز التى لها رمزية خاصة فى الفن المسيحى.
- ظهور التأثيرات المصرية القديمة والساسانية والإسلامية والأرمينية.
- سيطرة مادة الفضة فى تصفيح أغلفة الأناجيل.
- الولع المسيحى بالأدوات ذات الطابع الدينى سواء فى الكنيسة أو المنزل من مباخر وأناجيل وأيقونات.
- الحشمة والوقار التى تظهر بوضوح فى ملابس الأشخاص.وضوح التقوى والوداعة والخشوع التى تظهر فى ملامح الأشخاص وهذا لم يتميز به الفن الأوروبى.

المصادر والمراجع :

(١) لم تجد بالضبط أقدم نسخة للإنجيل لكن ذكر أن أقدم النسخ المحفوظة للأناجيل الأربعة الموجودة ضمن المخطوطات المحفوظة بالمتحف القبطي، وفهرس المخطوطات مؤرخ بعام ٩٧٣ ش ١٢٥٣م، وهى كتابة

بين القبطية والعربية وسجلت تحت رقم ٩٣ وقد كتب في آخر صفحاتها باللغة القبطية (كتبه الراهب الناسخ القس غبريال من بين الأرمن المقدم له فتحي العسال حيث أقام عشر سنوات في بابليون ونال البطريركية باسم غبريال ٧٧. مرقس سميكة : دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة الأثرية، ١٩٣٠ م،ص٣١. جوستاف لوبوس : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر، الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠٠٠م

(٢) شروق عاشور: أدوات المذبح بالكنيسة القبطية تطبيقاً على مجموعة نادرة بكنيسة السيدة العذراء _ شبلنجة _ القليوبية)، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب– المؤتمر الحادى عشر – الندوة العلمية العاشرة، أكتوبر عام ٢٠٠٨ م، ص ٥٨٥.

(٣) Putter 1902 : " The ancient Coptic churched of Egypt Vol 2 , Oxford , pp.51,52.

(٤) زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية، المجلة الجديدة، العدد الثالث، السنة السابعة، مارس ١٩٣٨ م، ص٣٤.

(٥) حشمت مسيحة جرجس : صناعة المعادن، موسوعة من تراث القبط، المجلد الثالث (الآثار والفنون والعمارة القبطية)، الطبعة الأولى، دار القديس يوحنا الحبيب، ص ٣٠٨.

(٦) الفن القبطي في مصر ٢٠٠٠ عام من المسيحية، الكتاب التذكاري لمعرض أقيم في معهد العالم العربي في باريس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨ م، ص ٦٩.

(٧) عزت زكى قادوس ومحمد عبد الفتاح السيد، الآثار القبطية والبيزنطية : الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢ م، ص٢١٥.

(٨) جمال هرمينا بطرس:موسوعة الفن القبطى، الجزء السابع، دار ترينتى، ٢٠١٥ م، ص ٢٠.

(٩) الفن القبطي في مصر ٢٠٠٠ عام من المسيحية، الكتاب التذكاري لمعرض أقيم في معهد العالم العربي فى باريس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨ م، ص ٦٩.

(١٠) رؤوف حبيب : الطاووس والنسر في العصر القبطي، ص٥.

(١١) شرين متري : : دراسة أساليب تشكيل المشغولات المعدنية القبطية والإفادة منها كمدخل لتدريس مادة أشغال المعادن لطلاب الكليات النوعية، رسالة ماجستير، كلية التربية النوعية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص٧٠،٧١.

(١٢) جرجس داود ١٣ مايو ٢٠٠١ : " صندوق فضي لحفظ الإنجيل " مقالة منشورة في مجلة وطني القاهرة رقم العدد ٢٠٥٥، ص٦.

(١٣) تأليف وترجمة جودت جبرة مع إسهامات لأنتوني ألكوك : المتحف القبطي وكنائس القاهرة القديمة، الهيئة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط١، ١٩٩٦ م. ص٨٥.

(١٤) Gawdat Gabra , The Illustrated Guide to the Coptic Museum and Churches of old Cairo , The American University in Cairo , p.202.

(١٥) بولا ساويرس سعيد : دير السيدة العذراء مريم – برأموس بوادى النطرون بمصر، رسالة ماجستير، معهد الدراسات القبطية، ١٩٩٥ م، ص ٤٤٩.

(١٦) أحمد عبدالحميد أحمد : أردية المسيحيين ومفروشاتهم المحفوظة بمتحف النسيج المصرى بالقاهرة من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادى، رسالة ماجستير، جامعة سوهاج، كلية الآداب، قسم الآثار الإسلامية، ٢٠١٤ م، ص ١٩٥.

(١٧) أشرف سيد البخشونجى :المرجع السابق، ص١٣.

(١٨) مصطفى عبدالله شيحة : : دراسات فى العمارة والفنون القبطية، مطبعة هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٨٨ م، ص ٢٨٤.

(١٩) لندا لانجن : فن رسم الأيقونات فى مصر، فى الفن والثقافة القبطية، دار شهدى، المعهد الهولندى للآثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٩٤.

(٢٠) أحمد عيسى أحمد : اللوحات المصورة " الأيقونات " بكنيسة السيدة العذراء بحارو الروم بالقاهرة، مجلة كلية الآثار بقنا،العدد الأول، يوليو ٢٠٠٦م، ص ٦٥.

(٢١) مصطفى عبدالله شيحة : دراسات فى العمارة والفنون القبطية، ص ٢٨٤.

(٢٢) أحمد عبدالحميد أحمد :المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٢٣) أشرف سيد البخشونجى :المرجع السابق، ص١٣.

(٢٤) بولا ساويرس سعيد : دير السيدة العذراء مريم – براموس – بوادى النطرون، ص ٤٤٧. Walters, C, C, : Monastic archeology in Egypt. Warminster, 1974. p.147.

(٢٥) صموئيل تاوضروس السريانى : الأديرة المصرية العامرة، المطبعة التجارية الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م، ص ٣٢.

(٢٦) Walters, C, C, : Monastic archeology in Egypt. Warminster, 1974. p.147.

(٢٧) أحمد عبدالحميد أحمد : المرجع السابق، ص٢٢٨.

(٢٨) سميح لوقا : الأيقونة فى الكنائس الرسولية، دار القديس يوحنا الحبيب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩ م، ص ٨١. جمال هرمينا، الموسوعة.....، ص ٩٨.

(٢٩) جودت جبرة : الفن القبطى القت فيه جميع حضارات مصر، ص ٥٨.

(٣٠) ثناء عبد الرحمن بلال : الملابس فى العصرين القبطى والإسلامى، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٢ م _ ١٩٨٣ م، ص٦

(٣١) جورج فرجستون : الرموز المسيحية ودلالتها، ترجمة يعقوب جرجس نجيب، القاهرة، ١٩٦٤ م، ص٨٦.

(٣٢) سميح لوقا : المرجع السابق، ص ٨٤، ٨٥.

(٣٣) بولا ساويرس سعيد : المرجع السابق، ص ٤٤٧.

(٣٤) أشرف سيد محمد حسن البخشونجى : تأثير الفنون المسيحية المصرية (القبطية) على الفنون الأوربية خلال عصر الهجرات (٤٨٦ م : ١٠٠٠ م)، بحث ضمن (المؤتمر الدولى الثانى " حوار الحضارتين العربية والغربية عبر المتوسط بالتعاون مع مركز الدراسات العربى الأوربى، جامعة بيروت العربية، كلية الآداب، ٧ -٩ مايو – ٢٠٠١ م، ص ١٣.

(٣٥) فيكتور جرجس عوض الله : اللوحات المصورة بالمتحف القبطى (الأيقونات)، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٦٥ م، ص ١٢.

(٣٦) مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى، دار العالم العربى، القاهرة، ص١٣٤.

(٣٧) شرين سمير مترى : المرجع السابق، ص ٢٣.

(٣٨) جمال نجيب سعد : الأيقونات الباقية بكنائس محافظة المنيا خلال العصر الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم الآثار الإسلامية، ٢٠٠٣ م.، ص ٢٦٧.

(٣٩) منى محمد بدر : أثر الفن القبطى على الفن الإسلامى فى التحف المنقولة: رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٥٩.

(٤٠) أشرف سيد محمد حسن : المرجع السابق، ص ١٤٦.

الكتالوج

لوحة رقم (١) صندوق إنجيل من الخشب المغشى بالفضة المذهبة، يرجع للقرن الثامن عشر الميلادى. محفوظ بالمتحف القبطى برقم سجل (١٥٦٦).

لوحة رقم (١ أ) كتابات قبطية طلسمية على الإنجيل السابق.

لوحة رقم (١ ب) كتابات قبطية طلسمية على الإنجيل السابق.

لوحة رقم (٢) صندوق انجيل، يرجع لسنة ١٤٤٠ للشهداء ١٧٢٤ م، محفوظ بالمتحف القبطى برقم سجل ١٥٢٦.

لوحة رقم (٢ أ) الكتابات التى على الإنجيل السابق برقم سجل ١٥٢٦.

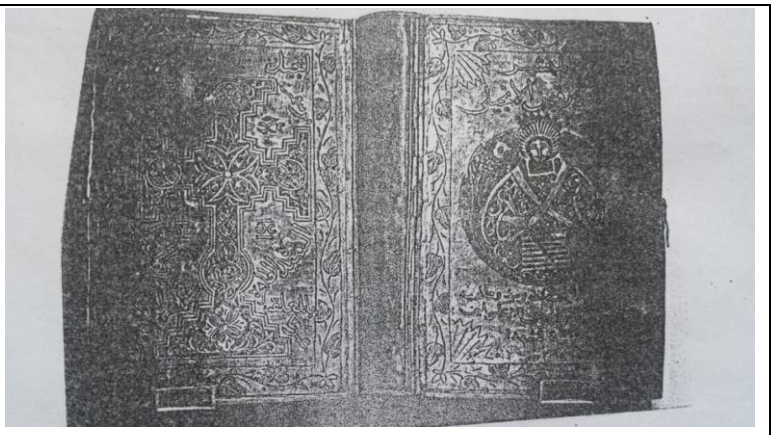

لوحة رقم (٣) صندوق إنجيل يرجع لسنة ١٥٩٤ للشهداء محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل ١٥٦٢.

لوحة رقم (٣ أ) أحد أوجه صندوق إنجيل يرجع لسنة ١٥٩٤ للشهداء محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل ١٥٦٢.

لوحة رقم (٣ ب) أحد أوجه صندوق إنجيل يرجع لسنة ١٥٩٤ للشهداء محفوظ بالمتحف القبطى بالقاهرة برقم سجل ١٥٦٢.

لوحة رقم (٤) صندوق إنجيل من الخشب المغطى بالفضة وبه أحجار كريمة، يرجع لسنة ١٤٢٤ م محفوظ بالمتحف القبطى برقم سجل (١٥٦٥).

لوحة رقم (٤) صندوق إنجيل من الخشب المغطى بالفضة وبه فصوص زجاج، يرجع لسنة ١٤٢٤ م محفوظ بالمتحف القبطى برقم سجل (١٥٦٥).

لوحة رقم (٥) صندوق إنجيل من الخشب المغطى بالفضة، يرجع لسنة ١٠٦١ للشهداء، ومحفوظ بالمتحف القبطى برقم سجل (٤٨٦٧).